

بواسل الجزائر والشعراء العرب (قراءة في المضامين)

The brave men of Algeria and the Arab poets (a reading of the contents)

د. مريم عزي*

جامعة عين تموشنت بلجاج بوشعيب (لجزائر)

meriem.azzi@univ-temouchent.edu.dz

تاريخ القبول: 2024/12/06

تاريخ الاستلام: 2024/09/11

ملخص:

يقف المقال على تجليات الثورة الجزائرية وإنجازاتها في قصائد الشعراء الجزائريين والعرب، مقتطعا نماذج من الشعر العربي الحديث؛ فيقوم بقراءتها أولا، وتفصي مواقف الشعراء وإسهاماتهم في دعم الكفاح الجزائري المسلح ثانيا، عاملا على مقارنة الكيفية التي تمت بها المساندة والدعم والتأييد والفضح والتشهير، لكن قبل ذلك لابد من الوقوف على تساؤلات تُحدّد كما يلي:

كيف صوّر الشعر العربي الثورة الجزائرية؟ وهل واكبت القصائد العربية أحداث حرب التحرير؟ وما موقف الشعراء منها؟ وما مضامين تلك القصائد؟ وما هي النبرة الغالبة عليها؟ وما مدى مطابقتها لسجل تاريخ الثورة الجزائرية؟

تقصي يعمل على إقامة موازنة بين ما حفظته وعاينته القصيدة الجزائرية من إنجازات ثورية، وما دوّنته أختها العربية من فضائح سجلتها الأقلام الشعرية ضدّ المستعمر الغاشم، وبين مُعَايِشٍ ومُسْتَمِعٍ يأتي النص الشعري متشجعا بهوية الذات المبدعة وهوية كل ما يحيط بها، ما يجعله مُنْفَتِحًا على آفاق متعدّدة من التلقي؛ وعليه ستُدرّس النماذج الشعرية المختارة بوصفها بنيات أدبية ألهبت الشارع العربي خاصة والعالم بأسره عامة، ضمن نسق ثوري يتخذ الرفض عنوانا، والإيمان بنصر قريب شعارا، لتدعم بذلك الكلمة الأدبية أختها السياسية ويقفان جنبا إلى جنب مع أصوات القنابل والرصاص.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، ثوار الجزائر، القصيدة العربية، الشاعر الجزائري، الشاعر العربي

Abstract:

The article examines the manifestations of the Algerian revolution and its achievements in the poems of Algerian and Arab poets, excerpted from: Examples of modern Arabic poetry; He reads them to investigate the positions of the poets and their contributions to supporting the Algerian armed struggle, working to approach the manner in which support, denunciation, exposure, and defamation were carried out. But before that, it is necessary to examine problems that are defined as follows: How did Arab poetry portray the Algerian

* المؤلف المرسل: د. مريم عزي

revolution? And did the Arabic poems keep up with the events? The war of liberation? And what is the poets' position on it? What are the contents of these poems? What is its dominant tone? To what extent does it match the history of the Algerian revolution?

A deficiency that works to establish a balance between the revolutionary achievements that the Algerian poem has preserved and witnessed, and what its Arab sister recorded of the scandals recorded by the poetic pens against the destroyer, and between a person living and a listener whose poetic text comes imbued with the identity of the creative self and the identity of everything that surrounds it, which makes it open to multiple horizons of receiving; Accordingly, the selected poetic models will be studied as literary structures that inflamed the Arab street in particular and the entire world in general, within a revolutionary framework that takes rejection as a title and belief in an imminent victory as a slogan, in order to support the word with that. Literary is its political sister, and they stand side by side with the sounds of bombs and bullets.

Keywords: : Algerian Revolution; Algerian revolutionaries; Arabic Poem; Algerian poet; keywords.

1. مقدمة:

تعدّ مسألة تقرير المصير طموح كل شعب حرّ حريته، وعان الإضطهاد، وتجرّع الذلّ والظلم من قبل قوى لا تعرف الرحمة والرأفة، بل تسعى جاهدة بكل الوسائل بغية توسيع نفوذها وفرض سلطتها على شعب لا يمت لها بصلة؛ سوى أنّها تطمح إلى نهب خيراته؛ الأمر الذي جعل كل مُضطَهَدٍ ينتفض ساعيا إلى فك القيود والأغلال، ضمن ما يسمى بالحركات التحررية، وعليه تتمحور إشكالية البحث حول ما يمكن تقصيه من مواقف لشعراء جزائريين وعرب تجاه الجرائم المرتكبة في حقّ شعبٍ لم يعرف المهادنة يوما مع مُغتَصِبٍ لم يعدم الوسائل والسياسات بغية فرض سيطرته..

2. المقاومة والشاعر الجزائري

فكان الشعب الجزائري مثالا يحتذى في المقاومة؛ كونه الراض لنهب خيراته، المعارض لانتهاك حرمة المحارب لمن يبغى محو شخصيته منذ أن وطئت أقدام المستدّمر أرض بلاده:

1.2. الراض لمحو شخصيته

وَاسْتَضَعُّوهُ فَقَرُّوا إِذْ لَآلَهُ فَأَبَتْ كَرَامَتُهُ لَهُ أَنْ يَخْضَعَ
وَاسْتَدْرَجُوهُ، فَدَبَّرُوا إِدْمَاجَهُ فَأَبَتْ غُرُوبَتُهُ لَهُ أَنْ يَبْلُعَا
وَعَنِ الْعَقِيدَةِ زَوَّروا تَخْرِيفَهُ فَأَبَى مَعَ الْإِيمَانِ أَنْ يَتَزَعَّرَا
وَتَعَمَّدُوا قَطْعَ الطَّرِيقِ فَلَمْ تُرَدْ أَسْبَابُهُ بِالْعُرْبِ أَنْ تَنْقَطِعَا¹

مخططات وسياسات انتهجها المستدّمر وجسّدتها ممارسات: ((الاستضعاف، الاستدراج، التزوير، والتعمد...)) لتؤاخذ بمقاومة شرسة تجسّدت في الرفض القطعي لذا جاء الشاعر بفعل ((أبى)) مكرّرا دلالة على عدم الاستكانة وإعرابا عن عدم الرضوخ، ليعلنها مقاومة لم تُعرّف يوما المهادنة شعبية كانت أم سياسية أم منظمة تحت لواء جبهة التحرير الوطني

التي شهد العالم بأسره على يدها ثورة دامت سبع سنوات ونصف «وإذا كانت الجدلية بين الشعر والثورة حقيقة لا يختلف فيها إثنان على اعتبار الشاعر بغضّ النظر عن أيّ انتماء، هو بالضرورة ثائر الواقع، فإنه لا غرابة أن يهتمّ الشعراء بالثورة في مفاهيمها المتعدّدة ومنها الثورة المسلحة»² لذا كان حريّ بالشاعر الجزائري مواكبة ما يحدث في بلاده من تجاوزات من قبل المحتلّ الغاصب لا سيما وأنّه القائل:

2.2. المعاينة والفهم

أما الشاعر أحمد سحنون فيقف في قصيدته المعنونة ب: **البطل** على حقيقة معاينة الجزائري ووعيه بما يجري حوله فيقول:

رَأَى أَرْضَ أَجْدَادِهِ الْعَالِيَةِ تَحَكَّمَ فِيهَا الْعَدُوُّ وَسَادَا
فَأَعْلَنَهَا ثَوْرَةً حَامِيَةً تُقَوِّضُ مَا قَدْ بَنَاهُ وَشَادَا
وَهَبَّ كَعَاصِفَةٍ عَاتِيَةٍ يُبِيدُ الشُّرُورَ وَيَمْحُو الْفَسَادَا
وَحَدَّقَ فِي الْأُفُقِ الْأَوْسَعِ كَمَا حَدَّقَ الصَّقَرُ يَبْغِي إِصْطِيَادَا
وَحَفَّ إِلَى الْجَبَلِ الْأَمْنَعِ لِيَجْلُو الْعَدُوَّ وَيَحْمِيَ الْبِلَادَا³

رؤية تشمل المعاينة والفهم، والوعي والإحاطة ليعقبها الإعلان المشتمل على الرأي السديد والقرار الحاسم ممثلاً في الثورة الحامية ((ثورة التحرير)) الهادمة لآمال المحتل الغاصب، لتتوالى الأفعال بصيغة الماضي ((هَبَّ، حَدَّقَ، حَفَّ)) للدلالة على ثبات الموقف، تسندها أفعال بصيغة المضارع ((تَقَوِّضُ، يَبِيدُ، يَجْلُو)) للدلالة على إستمرارية التقويض والإبادة والجلاء ما بقي الإحتلال الغاصب على أرض الجزائر؛ وعلى هذا الأساس تدعم الأفعال بالصيغتين بعضها البعض ليأتي التركيب دالاً على عدم مهادنة الشعب الجزائري للمحتل رغم طول مدّة الإحتلال .

2. 3 الشكوى

لكن جلد الشعب وصموده لم يمنع الشاعر الجزائري الذي يعدّ واحدا منهم من إصدار **شكوى** يصوّر فيها معاناة بلاده كلّما سنحت الفرصة، فهذه قصيدة " الجزائر تشكو " ألّفها أحمد سحنون - بنادي الترقّي في أكتوبر 1937م -

يَا أُمَّةً جَمَعَتْهَا عَقِيدَةُ الْإِيمَانِ
وَإِخْوَةٌ قَدْ تَلَاقُوا عَلَى هَوَى الْأَوْطَانِ
وَأَنْفُسًا ظَامِيَاتٍ لِلْعِلْمِ وَالْعُرْفَانِ
تَحِيَّةٌ مِنْ قُؤَادٍ فِي حُبِّكُمْ مَتَّقَانٍ⁴

أرسل الشاعر خطاباً افتتحه ببناء، توسّطته تحية وإفصاح عن محبة صادقة، وتلته شكوى يوجّهها الشاعر لثلاث شرائح: أمة يجمعها رابط الدين (العالم الإسلامي)، وإخوة يشتركون في الروح الوطنية (العرب)، وأنفس متعطشة للعلم والمعرفة (العالم الإنساني) فمّا تشكو الجزائر يا ترى ؟

إِنَّ الْجَزَائِرَ تَشْكُو لَكُمْ بِدُونِ لِسَانٍ
تَشْكُو لَكُمْ مَا تُلَاقِي مِنْ ذَلَةٍ وَهَوَانٍ
تَشْكُو غَيْصَابَ حُقُوقٍ تَشْكُو ضِيَاعَ أَمَانٍ⁵

تشكو الجزائر: ذلاً وهواناً، حقاً مسلوباً، وأمناً ضائعاً، وتكرار فعل ((تشكو)) دلالة على أنّ الأمر لم يعد محتملاً والإفصاح عن الشكوى بات أمراً ضرورياً، لِيُفْتَضَحَ العدوُّ أمام العالم بأسره أولاً ولإيجاد المخرج وطلب المساعدة ثانياً :

فَلْتُنْجِدُوها لِتَحْيَ كَسَائِرِ الْبُلْدَانِ
بِأَنْ تَرُدُّوا إِلَيْها مَا ضَاعَ مُنْذُ زَمَانِ
وَأَنْ تُرَبُّوا بِنَيْها فَهُمْ مَنَاطُ الْأَمَانِ
وَتَطْلُبُوا كُلَّ حَقٍّ لَهَا بِكُلِّ لِسَانِ
وَتَنْصُرُوا كُلَّ سَاعٍ وَتَرْجُرُوا كُلَّ وَاْنِ⁶

والمساعدة تكون :بالنجدة، وبإسترجاع ما سُلِب، وبتربية أبنائها، وبالمطالبة بحقوقها، وبالنصرة والزجر، وبعد أيادي الخير والإحسان، أعمال تسند شعباً إستطاع مواجهة عدوه طيلة سنوات من الإحتلال عن طريق الثورات الشعبية والعمل السياسي الذي أدرك فشله في نهاية المطاف، فسعى إلى تغيير الإستراتيجية، لكن قبل السعي لذلك لابد من إعادة الحسابات بالإعداد والتجهّز على جميع الأصعدة .

ولأنّ أحمد سحنون- هو الآخر - مدرك لفشل العمل السياسي ختم قصيدته بوصية يوصي فيها أبناء بلاده بالرجوع إلى كتاب الله والائتقاد وتضافر الجهود والعمل والإفتداء من أجل فك القيود التي كتمت أنفاس العباد وضيقّت على البلاد:

مِنَ الْمُحَالِ تُؤَدَّى حُقُوقُنَا بِاللِّسَانِ
وَأَنْ تُمَتَّى بِوَعْدٍ أَوْ تُعَلَّ بِئْسَانُ
وَلَوْ إِتَّخَذْنَا لَتَلْنَا حُقُوقُنَا مِنَ الزَّمَانِ⁷

ورغم الإمكانيات البسيطة المتاحة إلا أنّ الشعب كان قوّي العزيمة، شجاعاً باسلاً، إستطاع دراسة المستدمر الناهب لخيرات بلاده، الظالم في سياسته، وبما أنّ الشاعر عامة والجزائري خاصة لسان قومه، المعاش للوضع بدأ يتشكّل لديه وعي فشل كفاح الثورات الشعبية غير المنسق من جهة، وفشل الكفاح السياسي من جهة ثانية، فحثّه إلتزامه تجاه شعبه ووطنه ودينه -« والمقصود بالالتزام هنا ألا ينصرف الشاعر إلى التغني بالآلام وأفراحه الذاتية، ضارباً عرض الحائط، أو لاهياً عن المشاركة بالفكر والشعور بالفن في قضايا قومه الوطنية والإنسانية أو ما يعانيه قومه من آلام وما يطمحون إليه من آمال»⁸- وحركه الشعور بالمسؤولية إلى البوح بما يراه الأنسب؛ ففي الاتحاد قوّة، وفي تضافر الجهود نصره فالجزائر بحاجة لأبنائها كلّ في مكانه :الشاعر بصوته ونظرته الاستشرافية، والقائد بتخطيطه وتدبيره، والسياسي بدبلوماسيته

ما جعل مسألة التفكير في ثورة شعبية تشمل ربوع الوطن ككل- من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق- أمراً محتوماً وضرورياً؛ فكانت ثورة كبّدت الأعداء خسائراً، وقدمت دروساً في التضحية والإباء :

نَطَّقَ الرِّصَاصُ فَمَا يَبَاحُ كَلَامُ وَجَرَى الْقَصَاصُ فَمَا يُتَاحُ مَلَامُ
وَقَضَى الزَّمَانُ، فَلَا مَرَدَّ لِحُكْمِهِ وَجَرَى الْقَضَاءُ وَتَمَّتِ الْأَحْكَامُ
وَسَعَتْ فِرْنَسَا لِلْقِيَامَةِ، وَانْطَوَى يَوْمَ النُّشُورِ، وَجَفَّتِ الْأَقْلَامُ
وَالْقَابِضُونَ عَلَى الْبَسِيطَةِ، أَفْصَحُوا وَالْكَوْنُ بَاحٌ وَ قَالَتِ الْأَيَّامُ⁹

صرخة أطلقها مفدي زكريا ليُعرب من خلالها العزم على إخراج فرنسا من الجزائر بقوة السلاح وبسالة شعب قرّر تقرير مصيره بنفسه؛ فجاء بجمليتين فعليتين تخدمان هذا المسعى وتعلنان إندلاع الثورة ((نطق الرصاص، جرى القصاص)) لتأتي بعدهما جملتان فعليتان تحملان في طياتهما الإعلان عن نهاية العمل السياسي وتنفيان أمر التراجع ((فما يباح كلام، فما يتاح ملام)) وعلى إثرهما يأتي الشاعر بجمل فعلية أخرى تؤكد أنّ هذا القرار صائب وتسجّل المساندة والتأييد ((قضى الزمان، جرى القضاء، تمت الأحكام)).

فكانت جملا فعلية تؤكد إستمرارية الكفاح المسلّح، وتعلن في المقابل قيام قيامة فرنسا ((وسعت فرنسا للقيامة، وانطوى يوم النشور، وجفت الأفلام)) ليكون ذلك القيام حقيقة مسلّمة يؤمن بها الشاعر وينقلها إلى كل سامع وقارئ لشعره، ويفقهها كل من يحمل يقين الانتصار .

ولأنّ هذا الوطن عزيز فهو يُفتدى بالنفس والنفيس، بالغالي قبل الرخيص، تفتديه النسوة والرجال، الصبية والشيوخ الرجل البسيط والمتقف، العالم والأديب والشاعر دون أن يُبْطَ عزمهم أمر، أو تُثني همهم غطرسة وبطش:

وَطَنِي بِرُوحِي أَفْتَدِيكَ، وَمُهِجَتِي وَ دَمِي الشَّرِيفِ مَبَرَّةً وَوَفَاءً
عَهْدٌ عَلَيَّ مَدَى الْحَيَاةِ مُقَدَّسٌ يُذَكِّي عُزُوقِي وَنَحْوَةً وَإِبَاءً
حَسْبِي فَخَارًا فِي حَيَاتِي أَنَّنِي أَغْدُو عَلَى وَطَنِي الْغَزِيرِ فِدَاءً
وَإِذَا الْفَتَى لَمْ يَرْعَ عَهْدَ بِلَادِهِ فَأَقِمَّ عَلَيْهِ مَاتِمًا وَعَزَاءً¹⁰

لذا لا مكان للجبان - في عرف مفدي زكريا - بين أبناء الجزائر، ولا للمتقاعس أو الخائن، لأنّه مُدرك بدور كلّ واحدٍ في معركة الانتصار أو الشهادة في سبيل ذلك، فتتنوّع الضمائر بين: متكلم، ومخطب وغائب، لذا نجده في كلّ مرّة يُفصّح عن حبّه لوطنه وفدائه له ومعاهدته على ذلك، ولأنّ الخيانة أمرٌ فظيع، والجبن فِعلٌ شنيع، ها هو الشاعر يدع الأرض لإبتلاع كلّ من يتصفّ بهما.

لَا دَرَّ دُرُّ الْخَائِنِينَ وَلَا غَفَتْ أَعْيُنُ الْجَبَانِ الْمُسْتَمِيتِ بُكَاءً
إِنَّ الْجَبَانَ عَلَى الْبِلَادِ مُصِيبَةٌ عَظُمَتْ فَيَا أَرْضُ إِبْلَعِي الْجُبْنَاءَ
وَطَنِي غَزَائِمُكَ فِي فُؤَادِي خَالِدٌ مَالًا الْجَوَانِحَ رُوعَةً وَرُؤَاءً¹¹

ولو رجعنا إلى سجل التاريخ لوجدنا بأنّ أوّل ما قامت به الثورة الجزائرية هو تصفيت الخونة، وغرس الأمل في النفوس، ما يؤكّد وعي الشاعر الجزائري ومواقفته لما يحصل «ومن تلك الصور التي تزخر بها تجربة شعر الثورة الجزائرية (...) قصيدة مصرع خائن للشاعر عبد السلام حبيب يشخص فيها المشهد البطولي الذي أخرجه الفدائي الرمز "محمد بن صادق" حين أقدم على محو الخائن "علي شكال" وهو بجوار رئيس الجمهورية الفرنسية "كوّتي" في ملعب من ملاعب باريس مصوّرا فيها الحماس الجماهيري الفياض الذي ملأ قلوب الجزائريين، وغدا نشيدا يتغنى به كلّ من امتلأ قلبه كرها للخائنين في كل الأزمنة (...)» كما ألهم هذا الموقف الشاعر الربيع بوشامة (...) فنظم قصيدة عمودية طويلة بعنوان جزء الخيانة¹² وسواء كان الشاعر مصرّحا باسم الخائن أو ملمحا تبقى الخيانة جرم لا يغتفر، ويبقى الإصرار على التصفية واجب مقدّس في عرف كل مخطّط للعملية ومنفذ، وشاعر بمسؤولية التشجيع والتشهير.

وعليه تحقق الفداء على أيدي أبناء الجزائر البررة، فتشاركت فيه قوى كثيرة؛ جيشٌ يرمز إلى العمل المسلح في ميدان الوعى وجبهةٌ ترمز للعمل السياسي الممثل للجيش في المحافل الدولية، وفنيةٌ يُعربون عن الجاهزية وعدم التخاذل، ويرمزون إلى الإستمرارية في الجهاد، وشعبٌ يرمز إلى الدعم والإحتضان والمباركة للعمل المسلح، وكل ذلك دليل على أن القائمين بهذه الثورة هم أبناء الجزائر .

فجاء ردّ الشاعر على ما يُروّج له إعلام العدوّ بأنّها ثورة شِرْذمة قليلة، أو قطاع طرق أو ثورة جياح.... مُعلنًا بأنّها ثورة منظمة قادها جيش وجبهة وفنية وشعب :

جَيْشٌ إِلَى النَّصْرِ تَحْدُوهُ مَلَائِكَةٌ مُسَوِّمُونَ، بِمَوْجِ الْمَوْتِ يَنْدَفِقُ
وَجَبْهَةٌ بِسَيْدِ الرَّأْيِ تَسْنِدُهُ كُلُّ الْمَحَامِيدِ فِيهَا مَدْرَةٌ لَبِقُ
وَفَتْنَةٌ هَرَعُوا لِلشَّرَفِ يَعْضُدُّهُمْ إِنْ يُصْعَقُوا فَكَأَنَّ الْكَوْنَ يَنْصَعِقُ
وَالشَّعْبُ يَسْبَحُ لِلْعُلْيَا عَلَى دَمِهِ وَلِلتَّبَعِ بِالأَرْوَاحِ يَسْتَبِقُ
لَمْ يَنْتَبِهْ دُونَ إِذْ ذَاكَ الْمُتَى رَهَقُ إِنْ هُمْ، أُحْرِقُوا بِالنَّارِ أَوْ شُنِقُوا¹³

الواقف على القصائد الجزائرية يدرك أنّها خرجت من رحم الوعي، أدرك أصحابها وأيقنوا أن فرنسا لن ترتدع عما تقوم به فجاءت: منددة بالجرام، ومؤكدة على الرفض، مهددة للمستندمر، وشاحذة للهمم، وباعثة للصمود، حماسية، مؤمنة بنصر أكيد، معاشية معاينة لما كان يقع من جرائم. ما جعل لسان شاعر ناطق باسم شعبه مُوصل صوته إلى الطرف الآخر عربا كانوا أو عجماء.

3 الثورة الجزائرية والشاعر العربي

يقتصر التقصي في هذا المقال على القصائد العربية المنتجة من قبل شعراء مصريين وشعراء عراقيين من باب التمثيل لا الحصر ضمن مدوّنتين جُمعتا لتعربان عن مساندة الشاعر العربي لأخيه الجزائري.

1.3. القصيدة المصرية

في خضم هذا الخطاب الحادّ واللهجة الحماسية، وجلال الأعمال التي تُعرب عن مطابقة الفاعل للأقوال حظيت الثورة الجزائرية المسلحة بدعم: الصغير والكبير، القوي والضعيف، كما إلتفت حولها المثقف والبسيط داخل الوطن وخارجه، وساندتها الدّول العربية حكومات وشعوب: «إلتفت المواطنون العرب في مشارق الأرض ومغاربها حول الثورة الجزائرية يدعمونها بجميع الوسائل، وكان دور الكلمة كبيرا، وراح الصحفيون والشعراء والكتاب يدعمون بأقلامهم الثورة بحيث لا يكاد يخلو عدد صحيفة ومجلة صدرت في أثناء قيام الثورة من مقال أو قصيدة يتغنى فيها شاعرها بأمجادها»¹⁴ فبرزت مواقف سياسية وأعمال إبداعية تؤكد الوقوف إلى جانب شعبٍ أيقن أنّ ما أخذ بالقوة لا يُستردّ إلا بالقوة، ولا ينال إلا بتضافر الجهود والتنظيم المحكم والتنسيق الجيد.

والشاعر العربي «باعتباره إنسانا قبل كلّ شيء، ومواطننا ينتسب إلى شعب هو منه كاخلية من الجسم، كما لم يعد يوسع الأدب العربي أن يستمرّ في عزله المديدة عن المجتمع وما يضطرب فيه دون أن يساير الحياة أو أن يؤثر فيها ويتأثر بها»¹⁵ إستطاع إثبات دعمه للثورة الجزائرية شعرا فجادت قرائح الشعراء العرب بكل ما يمكن أن يقال فهناك من أرسل قصيدة يؤكد فيها على المساندة والدعم؛ فالحق يأمر بالمناصرة والأصل جامع، ما جعل التأييد واجب :

العُربُ تحْتَ اللَّوَاءِ كَتِيبَةٌ جَمْعَاءُ
قَدْ جَمَعَتْهَا أَصُولُ عَمِيقَةٌ شَمَاءُ
هَذَا قَضَاءُ قَضْتُهُ طَبِيعَةُ الْأَشْيَاءِ
فَالْكُلُّ نَاصِرُ
وَالْحَقُّ أَمْرُ
مَنْ ذَا يُمَارِي الْقَضَاءَ؟¹⁶

كما بعث الشعراء العرب رسائل يحيون من خلالها بطولات الجزائر التي أعجزت أقوى دولة مستعمرة ألا وهي فرنسا:

حَيِّ الْبُطُولَاتِ تَعْنُو دُونَهَا الدُّوُلُ وَيَحْفَلُ الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ وَالْأَسَلُ
حَيِّ الْمَنَايَا عَلَى أَرْضِ الْفِدَى وَمَنْ فِي الْخَافِقِينَ سَرَتْ فِي عَزْمِهِمْ مَثَلُ¹⁷
تَحِيَّةٌ تَحْمِلُ بَيْنَ ثَنَائِهَا إِعْتِرَافٌ وَفَخْرٌ، هَتَافٌ وَتَهْلِيلٌ لما يُكَيِّدُهُ الثَّوَارُ من خسائر للغاصب:

حَيِّ الْجَزَائِرَ مَعْقِلَ الثَّوَارِ حِصْنُ الْعُرُوبَةِ مَوْطِنَ الْأَخْرَارِ
حَيِّ الْجَزَائِرَ فِي خِصَمِ كِفَاحِهَا وَكُتِبَ لَهَا التَّارِيخُ بِالْأَنْوَارِ
وَإِهْتَفُّ هَا فِي كُلِّ أَرْضٍ حُرَةٍ وَانْسُجْ هَا جِلْدًا مِنْ الْإِكْبَارِ¹⁸

وفي جلال وإكبار يختم الشاعر القصيدة بقوله:

سَنَعِيشُ بِإِسْمِكَ فِي إِنْتِصَارٍ سَاحِقٍ وَيَظَلُّ قُطْرُكَ أَغْظَمَ الْأَقْطَارِ¹⁹

ومما سبق ذكره، يتأكد تعدد مواقف الشعراء العرب ما بين: الزهو والفخر لما يسمعون من أخبار عن الثوار والثورة وفضح وتنديد ضد ما يرتكبه المحتل من انتهاكات وجرائم في حق أشقائهم الجزائريين:

مَا لِلْمَذَابِحِ فِيكَ... يُؤْلِمُهَا الدَّمُ وَثُلُوبٌ مِنْ خُصُوبِكَ لَا تَتَأَلَّمُ؟!
لَمْ يَرْحَمْ السَّفَاحُ طِفْلَكَ إِذَا بَكَى هَيْهَاتَ سَفَاحٌ يَرِقُّ وَيَرْحَمُ!
لَا تَحْسَبِي فِي ثَوْبِهِ بَشْرِيَّةٌ مَا ذَاقَ طَعْمَ الْأَدَمِيَّةِ مُجْرِمُ!
مَنْ رَدَّ عَصْرَ الْبَرْبَرِيَّةِ بَعْدَمَا وَلَى وَعَصْرُ الْبَرْبَرِيَّةِ مُعْتَمُ!
مَنْ خَاضَ أَرْضَكَ غَارِيًا مُتَخَفِرًا وَهُوَ الذَّلِيلُ بِأَرْضِهِ الْمُسْتَسْلِمُ!²⁰

هكذا استنكر الشاعر العربي جرائم المستعمر فجسد استنكاره حبساً على قصائد ترفض الظلم، وحنجرته تهتف باسم الجزائريين في النوادي والإجتماعات داخل الوطن العربي وخارجه؛ قصائد تعمل على فضح ما يُرتكب من مذابح أمام مجتمع دولي يصر على صمته منوّهة إلى ذلك بعبارة ((بقلوب لا ترأف ولا تتألم))، مصوِّرة فرنسا سفاحاً لا يرق ولا يرحم.

فجاءت بلفظة هيهات على صيغة الاستخفاف ((هيهات سفاح يرق ويرحم))، مجردة المحتل من الإنسانية عاملة على استصغاره والتقليل من شأنه في ثنائية ضدية ((الغازي المتعطش للدم)) في الأرض المعتصبة ((الذليل المستسلم بأرضه)) ساعية بذلك إلى التشهير بجرائمه بغية إفشال خططه الطامحة إلى فرنسا الجزائر لنهب خيراتها.

2.3. القصيدة العراقية

ومن الشعراء العراقيين من قرّر الأخذ بيد إخوانه المناضلين وعمل على إستصغار العدو والتقليل من شأنه، فسعى إلى شحذ الهمم والحثّ على مواصلة الكفاح والمقاومة بقصيدة يتماها فيها مع المجاهد الجزائري؛ فجعل نفسه مشاركة في المعارك فيها هو ذا يحثّها على الثبات :

إثْبُتِي يَا نَفْسُ عِنْدَ الْمُتَقَى فِي الصِّرَاعِ الْمُرِّ فِي السَّاحِ الْخَصِيبِ
وَانْشُرِي الرُّعْبَ عَلَى جَيْشِ الْحَنَّا وَاهْتَفِي بِالنَّصْرِ لِلْمَجْدِ الْحَبِيبِ
وَنَحْنُ لَا نَخْشَى الْمَيَا عِنْدَمَا تَهَادَى نَاهِشَاتِ الْبُيُوتِ²¹

فتتوالى أفعال الأمر : ((إثبتي، إنشري، إهتفي)) لتأتي أخيرا جملة على لسان الجمع المتكلم ((نحن لا نخشى المنايا)) إعرابا منه على أنّ الهمم عالية، وتأكيدا على التماسك والالتحاد:

قَاوِمِي قَاوِمِي... بِلَاذِ الْبُطُولَةِ وَاخْضِي الْمَجْدَ وَارْفَعِي إِكْلِيلَهُ
قَاوِمِي يَا جَزَائِرَ الْبَغْيِ وَامْشِي فَوْقَ بَحْرِ مِّنَ الدِّمَاءِ الْمَطْلُولَةِ
قَاوِمِي الْبَغْيِ وَارْضِي الضِّيمَ وَامْشِي فَوْقَ جِسْرِ مِّنَ الضَّحَايَا الْجَلِيلَةِ
مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ مَا صَنَعَ الْعُرْبُ بِأَوْرَاسٍ مِّنْ فُنُونِ الْبُطُولَةِ
إِنَّهَا قِصَّةُ الْكِفَاحِ لَشَعْبٍ عَرَبِيٍّ... يَهْدُ عَرْشَ الرِّذِيلَةِ²²

لذا يخاطب الشاعر العربي الجزائر شاحدا الهمم، رافعا التحدي فتتوالى أفعال الأمر : ((قاومي، اخضي، ارفعي، امشي، ارفض)) تأكيداً على أن الشعب الجزائري من يخوض هذه المعركة ويقدم هذه التضحيات، ليصوغ أخيرا إعرافا منه بجلال ما يقدم من بطولات في جملة منفية تثبت ما يُسمع من أخبار، وتُحرز التفرد في الصنيع ((ما سمعنا بمثل ما صنع العرب)) ليحدد المكان بدقة بأوراس الجزائر جاعلا البطولة فنا يُتفرد به.

إثر ذلك كله يختار الشاعر بعدها لفظة الهدّ دلالة على إستحالة الإنبعاث من جديد ((يهدّ عرش الرذيلة)) كما جاء الفعل مضارعا دلالة على إستمراره إلى أن يتم الإجتثاث النهائي.

ومنهم من راح يتساءل عن إمكانية تصوير ملحمة الجزائر، إعرافا منه بجلال أعمالها وعظم تضحياتها، ما أدى إلى إستصغار كل كلمة تقال في حقها :

هَلْ تَسْتَطِيعُ وَأَنْتَ شَاعِرٌ تَصْوِيرَ مَلْحَمَةِ الْجَزَائِرِ؟
بَلَدٌ تَدُورُ بِهِ عَلَى الـ بَاغِيْنِ دَائِرَةِ الدَّوَائِرِ
مَا بَيْنَ حَقِّ ثَائِرٍ أَوْ بَاطِلِ بِالْحَقِّ كَافِرٍ
دَارَتْ عَلَى التَّارِيخِ مَعْمُ رَكَّةٌ لَهَا التَّارِيخُ نَاطِرٌ²³

هكذا أعرب الشعراء العرب عن دعمهم للثورة الجزائرية وفخرهم بما كونهما رمزا لكل حُرٍّ أبّي، وأبرزوا دور الشعر العربي في نقل كفاح الشعب الجزائري، و إسماع صوته للدول والشعوب، فقد «كان الشعراء والكتاب العرب يتعاملون مع الثورة الجزائرية تعاملهم مع ثورة عربية، جاءت لتؤكد أنّ الأمة العربية لم تنته كما كان يصوّر ذلك أعداؤها، بل إن هذه الثورة عبرت من خلال أحداثها عن تعشّق العربي للحرية وعن صلابة عوده في النضال من أجلها»²⁴، فتأثروا بجهد

أشقاؤهم الجزائريين وآمنوا بقضيتهم، وعملوا على دعمهم وتحليل ذكركم، والتغني بمآثرهم في أعمالهم الشعرية وأيقنوا أن النصر حليفهم:

والحقُّ مُنْتَصِرٌ وإنَّ طَالَ المَدَى واللّهُ نَاصِرٌ
مَا فِي الجَزَائِرِ مِنْ بَيٍّ هَهَا غَيْرَ ثَائِرَةٍ وَثَائِرٍ
ثَارُوا عَلَى المُسْتَعْمِرِ إِسْدَ تَعَلَّى وَخَرَّبَ كُلَّ عَامِرٍ
زَعَمَ الجَزَائِرَ قُطْعَةً مِنْ أَرْضِهِ وَمَضَى يُكَابِرُ
عَجَا!.. قَضِيَّةٌ خَاسِرٌ لَا يَدَّعِيهَا غَيْرُ خَاسِرٍ
أَيْنَ الجَزَائِرُ مِنْ فِرْنُسَ سَنَا؟.. مَا فِرْنُسَا وَالجَزَائِرُ؟²⁵

لهذا يمضي الشاعر العربي في إستخفافه بمزاعم المحتل وإدعاءاته ومكابرتة من أجل ضمّ الجزائر إلى أرضه، لا لشيء سوى لأنه على يقين بنصرة الله للحق أولاً، ومعاًينٍ لمثابة أبناء الجزائر ثانياً، فالجميع مُسْتَنْفَرٌ لذا جاءت المعادلة الآتية: فرنسيّ يزيّف يتعالى ويخترّب، يواجهه جزائري بحقه يطالب، ثائر عن حريته يدافع، ما جعل القضية محسومة منذ البدء، لتأتي أخيراً الجملة الإستفهامية - أين الجزائر من فرنسا؟ - دلالة على الإستخفاف والإستهزاء؛ المعربة عن الإستنكار، فالجزائر عربية مسلمة وستبقى كذلك ما دام قلب ينبض .

ومن الشعراء العرب من لم يقتصر دعمه للثورة الجزائرية على نظم قصيدة واحدة بل تعدى ذلك إلى الاثنتين والثلاث والأربع؛ كما حصل مع الشاعر الفلسطيني راشد حسين الذي خصّص من ديوانه **الصواريخ** أربع قصائده للجزائر «وإذا اعتبرنا قصيدة "رسالتان" قصيدتين، ارتفع العدد إلى خمس قصائد، ولولا القافية لاعتبرت قصيدة" الثوار ينشدون" ثلاث قصائد ليصبح العدد سبع قصائد كاملة»²⁶ وما راشد حسين إلا واحداً من أولئك الشعراء العرب الذين حركهم الإيمان بالالتزام والشعور بالمسؤولية وهم يسمعون بإخوانهم يقتلون في بلدكم الجزائر على يدٍ مغتصب لا يعرف الرحمة ولا الرأفة.

وعليه يجد الواقف على القصيدة العربية الحديثة أنّها جاءت: **مباركة مهنئة، مساندة ومعظمة، مفتخرة وفاضحة للمستعمر، مستخفة، مستاءة، متغنية ومخلّدة للمآثر والبطولات**، ما جعلها مواكبة للأحداث، تبتّ الوعيّ في أوساط من هم خارج الجزائر، وتشدّ أزر القصيدة الجزائرية، التي كان المحتلّ الغاصب يضيق على شعرائها بالسجن والزجر والقتل، لإدراكه قوّة الكلمة ودورها في بثّ الوعيّ وشحذ الهمم، «فللكلمة الصادقة المعبرة عن المشاعر الإنسانية في أبعادها الاجتماعية والوطنية سحر نافذ يهزّ الأفئدة والقلوب (...)» ممّا يحدث الأثر في النفس والوجدان إيجاباً أو سلباً»²⁷ وكلمات الشاعر الجزائري والعربي سواء التي قيلت أثناء حرب تحرير الجزائر أم بعدها تظلّ صرخة في وجه الظلم والعدوان، وشاهدة على جرائمه، وإن كان الواقع أفضع وأشنع بكثير.

4. خاتمة:

استناداً إلى ما تمّت الإشارة إليه، استطاع الشعب الجزائري بإرادته قهر أقوى الدول المستعمرة؛ فراح يسجّل اسمه ضمن سجل الخالدين بغية تجسيد حلم الإستقلال حقيقة على أرض الواقع، كما أثبتت الشعوب العربية على اختلاف شرائحها- بما فيها شريحة الشعراء المساندة - الدعم والفخر، تنديداً وإستنكاراً للجرائم المرتكبة في حقّ أشقاؤهم

الجزائريين، فتنبّعت القصائد بتنوع زوايا النظر، كما تعدّدت الدلالات بتعدّد العناوين المنتقاة لتلك القصائد التي تحمل بين ثناياها أقوى السمات والدلائل، ما جعلها محفورة في ذاكرة كلّ أبيّ تُستحضر، وتتغنى بها الحناجر في كلّ موعد ومناسبة. وهو ما أدى بالقصيدة العربية الحديثة والمعاصرة بأن تكون سجلا أدبيا ضمّ أروع القصائد التي نظمت لتحمل على عاتقه روح المسؤولية تجاه قضية إنسانية عادلة، ما جعل البحث وهو يقلّب صفاحته الشعرية يلامس عن حقّ تعشّق العربي للكرامة والحرية التي من أجلهما يدفع أثمانا باهظة دون أن يحزّ في نفسه شيء، ممّا يدفع الجهات المعنية والمختصة إلى ضرورة حماية هذا الإرث تخليدا وجمعا.

وعليه يوصي البحث بجمع كلّ القصائد التي قيلت في الثورة الجزائرية داخل الوطن وخارجه بحكم أنها بقيت حبيسة المجالات والجرائد ردحا من الزمن تفعيلا لمبادرة عثمان سعدي الذي جمع قصائد شعراء العراق التي قيلت إبان ثورة التحرير حتى يتسنى للقارئ العربي الاطلاع عليها ودراستها ضمن بحوث علمية رصينة تعزّز أواصر الأخوة .

5- الهوامش:

- ¹ - مفدي زكريا، ديوان اللهب المقدس، منتدى سور الأزيكية بالتعاون مع مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، ص. 53.
- ² - حسن أبو النجا، الثورة الجزائرية في قصائد الشاعر الفلسطيني راشد حشين، مجلة اللغة والأدب، ع. 18، ص. 255.
- ³ - أحمد سحنون، ديوانه، منشورات الخير تعاونية عيسات إدير، ط. 2، 2007، ج. 1، ص. 86.
- ⁴ - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 98.
- ⁵ - المصدر نفسه، ج. 1، ص. ن.
- ⁶ - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 98.
- ⁷ - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 98.
- ⁸ - محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار الشروق الأولى، القاهرة (مصر)، ط. 1، 1994، ص. 200.
- ⁹ - مفدي زكريا، ديوان اللهب المقدس، ص. 41.
- ¹⁰ - مفدي زكريا، أمجادنا تتكلّم وقصائد أخرى،، جمعه وحققه مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، د. ط، 2003، ص. 132.
- ¹¹ - المصدر نفسه، ص. 132.
- ¹² - فوغالي باديس، جدلية الخبر والشهادة في التجربة الشعرية العربية الحديثة (ثورة التحرير الجزائرية نموذجاً)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج. 2، ع. 2، 2005، ص. 156.
- ¹³ - مفدي زكريا، ديوان اللهب المقدس، ص. 30.
- ¹⁴ - عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، المكتبة الوطنية ودار الحرية للطباعة، بغداد (العراق)، د. ط، 1981، ص. 13.
- ¹⁵ - عمر دقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، مكتبة الشرق، حلب (سوريا)، ط. 2، 1963، ص. 06.
- ¹⁶ - حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة (مصر)، د. ط، 2005، ص. 116، المقطع للشاعر عبد الرحمن صدقي.
- ¹⁷ - المصدر السابق، ص. 75 القصيدة للشاعر عليّ الحائري

- 18- مجلة صوت العروبة، مايو 1958 نقلا عن حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، ص.112، والقصيدة لعبد الباري أبو العنين يوسف عنوانها "الجزائر".
- 19- المصدر نفسه، ص.112
- 20- صحيفة الشعب 25 مارس 1958، نقلا عن المصدر نفسه، ص.117، القصيدة لعبد المنعم قنديل، عنوانها "دماء وهب"
- 21- عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص.50، القصيدة لسليمان الطعمة
- 22- مجلة الأدب، فبراير 1961، نقلا عن المصدر نفسه، ص.119، القصيدة لعلي حسن العزب، عنوانها "جبال الأوراس"
- 23- مجلة صوت العرب، 1 ديسمبر 1957، نقلا عن المصدر نفسه، ص.72، القصيدة للربيع الغزالي، عنوانها "ملحمة الجزائر"
- 24- عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، ص. 13
- 25- المصدر السابق، ص. 72
- 26- حسن أبو النجا، الثورة الجزائرية في قصائد الشاعر الفلسطيني راشد حشين، مجلة اللغة والأدب، ع. 18، ص.256
- 27- فوغالي باديس، جدلية الحبر والشهادة في التجربة الشعرية العربية الحديثة (ثورة التحرير الجزائرية نموذجاً)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج.2، ع.2، 2005، ص.152

6. قائمة المراجع:

- أحمد سحنون، ديوانه، منشورات الحبر تعاونية عيسات إدير، ط.2، 2007، ج.1
- حسن فتح الباب، ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة (مصر)، د.ط، 2005
- حسين أبو النجا، الثورة الجزائرية في قصائد الشاعر الفلسطيني راشد حسين، مجلة اللغة والأدب، ع.18
- فوغالي باديس، جدلية الحبر والشهادة في التجربة الشعرية العربية الحديثة (ثورة التحرير الجزائرية نموذجاً)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج.2، ع.2، 2005
- عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، المكتبة الوطنية ودار الحرية للطباعة، بغداد (العراق)، د.ط، 1981
- عمر دقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، مكتبة الشرق، حلب (سوريا)، ط 2، 1963.
- محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار الشروق الأولى، القاهرة (مصر)، ط.1، 1994.
- مفدي زكريا، أجمادنا تتكلم وقصائد أخرى، جمعه وحققه مصطفى بن الحاج بكير حمودة، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، د.ط، 2003
- مفدي زكريا، ديوان اللهب المقدس، منتدى سور الأزيكية بالتعاون مع مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر